جـامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المستوى: السنة الثانية ماستر. **السنة الجامعية: 2023/2022**
التخصص: لسانيات عامة. **السداسي الأول.**
مادة: الأسلوبية. **أستاذ المادة: أ. د. محمد بن يحي.**

المحاضرة الخامسة
ميدان بناء الأسلوب (النص/الخطاب الأدبي)

إن ما قادنا إلى الحديث عن النص في هذا المقام هو ارتباطُ مفهومِ الأسلوبِ -الذي هو مادة الدراسة الأسلوبية- بالنص الأدبي، فثمَّةَ علاقةُ تلازمٍ بينهما، مما جعل منظري الأسلوبية يربطون تعريفَ الأسلوبِ بالنص، لأن «جوهر الأثر الأدبيّ لا يمكن النفاذُ إليه إلا عبْرَ صياغته الإبلاغية»[1].

ويؤكد الأسلوبيون البنيويون على ارتباط الأسلوب بالنص الأدبي، إذ الأسلوب عندهم ليس شيئا خارجا عن النص، بل هو عنصرٌ من عناصره. والنصّ هو الميدان الوحيد الذي يُبنى فيه الأسلوبُ، ولا أسلوبَ إلا في النصّ الأدبيّ[2].

1- **النص لغة:** جاء في اللسان: «النَّصُّ: رفْعُك الشيء. نَصَّ الحديث يَنُصُّه نصّاً: رَفَعَه. وكل ما أُظْهِرَ، فقد نُصَّ ... نَصَصْت المتاعَ إذا جعلت بعضه على بعض. وكل شيء أَظْهرْته، فقد نَصَّصْته...»[3]، فكلمة (النص) في اللسان العربي تعني الرفع، والإظهار.

2- **النص والخطاب:** يتردد في هذا المجال مصطلحان: مصطلح (نصّ Texte)، ومصطلح (خطاب Discours).

---

[1]- المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص31.

[2]- ينظر: مولينيه، الأسلوبية، ص153. والمسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص79. وموسى ربابعة، الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، ص20.

[3]- ابن منظور، لسان العرب، مادة (ن ص ص)، ج7، ص97.

لقد ارتبط المعنى اللغويّ للفظة (نصّ) في العربية كما في الفرنسية بالكلام المكتوب، في مقابل لفظِ (خطاب) الذي يحيل عادةً إلى الكلام المنطوق[1]. والمختصون «لا يولون أهميةً كبيرةً للتفريق بين (النص الأدبي) و(الخطاب الأدبي)، حيث يميل معظمهم إلى اعتبار (النص) و(الخطاب) شيئا واحدا»[2]. وما يؤكد ذلك قولُ "رولان بارث Roland Barthes 1915-1980": «النص يظلُّ على كلِّ الأحوال متلاحما مع الخطاب، وليس النصُّ إلا خطابا، ولا يستطيع أن يتواجد إلا عبر خطابٍ آخر»[3]. وقد عدَّ بعضُهم الكلمتين مترادفتين، ومنهم "جوليان قريماس Algirdas Julien Greimas" الذي استدل على ذلك بكون بعضِ اللغات الأوروبيةِ لا تتوفر إلا على لفظ واحدٍ يؤدي معنى (الخطاب) و(النص) على السواء[4].

ومنهم من يرى بأن النصَّ لا يكون إلا مكتوبا، وبذلك فهم يسقطون صفةَ النصيَّةِ عن الأدب الشفوي، بل وصفةَ الأدبيّةِ أيضا، فهذا "جورج مولينيه" يجيب دون تردّدٍ عن السؤال: هل يوجد أدبٌ شفهيّ؟ بقوله: «لا يوجد سوى الأدبِ المكتوبِ، والعملُ الأدبيُّ يُحدّ كذلك بخاصيّةِ الكتابة»[5]. وهو بذلك يُسقط كلَّ إنتاج أدبيٍّ شفويّ، ومنه تراثُنا العربيُّ الذي انتقل مشافهةً قبل أن يُدوّن.

وقد كان "ميشال ريفاتير" يعتنق الفكرةَ ذاتهَا في تعريفه الأول للأسلوب حينما عرّفه بأنه «كلّ شكلٍ مكتوبٍ وفرديٍّ قُصد به أن يكون أدبا»[6]. ولكنه اقترح تعديلا مهمّا لذلك التعريفِ في ترجمته الفرنسية -بعد عقد من الزمن- حيث يقترح تعويضَ قوله: «شكل مكتوب» بعبارة «الشكل الدائم»[7]. وهو بهذا الاستدراك يكون قد أدخل الأدبَ المنقولَ مُشافهةً في تعريفه.

ومعظم الدارسين يميلون إلى عدّ النصّ نصا سواء أكان مكتوبا أم شفويا، ويمكننا أن نستغنيَ في هذا المجال بقول "تون. آ. فان ديك Teun. A. Van Dijk": «إننا نرى (نصا) النصوص (المتكلَّم بها) والنصوص

---

[1]- أحمد منور، علم النص من التأسيس إلى التأصيل، مجلة اللغة والأدب، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، ع: 12، ديسمبر1997، ص30.

[2]- المرجع نفسه، ص نفسها.

[3]- نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج2، ص30.

[4]- أحمد منور، علم النص من التأسيس إلى التأصيل، مجلة اللغة والأدب، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، ع: 12، ديسمبر1997، ص30.

[5]- مولينيه، الأسلوبية، ص152.

[6]- موسى ربابعة، الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، ص20.

[7]- نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج1، ص116.

(المكتوبة) (المطبوعة)، وإن كنا في اللغة الجاريةِ نستعمل الكلمةَ (نص) جوهريا بالنسبة إلى النصوص المكتوبةِ أو المطبوعة»[1].

3- **النص (الخطاب) الأدبي:** بعد أن جلونا مصطلحي (نص) و(خطاب)، ورأينا استعمالهما بالمعنى نفسِه، يجدر بنا أن نحدد مفهوم (النص أو الخطاب الأدبي) بوصفه الميدان الذي يبنى فيه الأسلوب؛ إذ لا أسلوب إلا في النص (الخطاب) الأدبي.

لقد كان "شارل بالي" أولَ من سنَّه وحدّد أبعادَه «في خضمّ تشريعه للأسلوبية، وقد انتهى به التحليلُ إلى ضبط هُوّيةِ النصّ الأدبيّ انطلاقا من علاقة التناسبِ القائمةِ بين أجزائه»[2].

أما "جاكوبسون"، فقد أثار سؤالا في غاية الأهمية: «ما الذي يجعل من رسالة كلاميّةٍ عملا فنيّا؟»[3]، أو بعبارة أخرى: ما الخصائص والسّماتُ التي تميّز النصَّ الأدبيَّ عن غيره من النصوص؛ فتجعل منه نصا أدبيا؟ وقد مكَّنه ذلك السؤالُ من الكشف عن أبعاد النصِّ الأدبي سنة 1960، وذلك لما عرّفه بكونه «خطابا تغلّبت فيه الوظيفةُ الشعريّةُ للكلام...ولذلك كان النصُّ حسب "جاكوبسون" خطابا تركّب في ذاته ولذاته»[4].

وقد ذهب بعد ذلك علماءُ الأسلوبِ مذاهبَ شتّى في تحديد هويّة النص الأدبي، ونعرض بعضَ تلك الآراءِ للتنوُّر بها في فهمه ودراسته.

لقد اتخذ "تودوروف" من الشفافية مقياسا لتحديده، فهو عنده «خطاب انقطعت الشفافيةُ عنه معتبرا أن الحدث اللسانيَّ العاديَّ هو خطابٌ شفّافٌ نرى من خلاله معناه، ولا نكاد نراه هو في ذاته... بينما يتميز منه الخطابُ الأدبيُّ بكونه ثخِنا غيرَ شفّاف يستوقفك هو نفسُه قبل أن يمكّنك من عبوره واختراقه»[5]. ومعنى ذلك أن الذهن يخترق لغة الخطاب العادي دون حواجز، بينما تستوقف اللغةُ الأدبيةُ مداركَ الإنسان، فتحمله على تأمّلها لاستيعاب صبغتها المتميّزة[6].

---

[1]- مجموعة من المؤلفين، العلاماتية وعلم النص، ص143. وينظر: عبد القادر بوزيدة، فان ديك وعلم النص، مجلة اللغة والأدب، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، ع: 11، ماي 1997، ص11.

[2]- المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص109.

3- R. Jakobson, Essais de linguistique générale, 1, Les fonctions du langage, p 210.

[4]- المسدي، النقد والحداثة، ص58. والمسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص88-89. ونور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج2، ص11.

[5]- المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص112. ونور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج2، ص16.

[6]- المسدي، قضية البنيوية (دراسة ونماذج)، دار الجنوب للنشر، تونس، 1995، ص50.

أما "جورج مولينيه"، فقد اعتمد مقياسَ الإيحاء، حيث وصف النصَّ الأدبيَّ بأنه «يحمل في داخله قوةً إيحائيةً، فهناك جزءٌ كبيرٌ من المعنى غيرُ موجود بوضوح في التراكيب الظاهرةِ للنص»[1].

بينما تنطلق "جوليا كريستيفا" من مفهوم التّناص في تحديدها النص، إذ تقول: «نحدد النصَّ كجهاز عبرَ لسانيٍّ يُعيد توزيعَ اللسانِ بواسطة الربط بين كلام تواصلي يهدف إلى الإخبار المباشر، وبين أنماط عديدة من الملفوظات السابقةِ عليه أو المتزامنةِ معه، فالنصُّ إنتاجيّة، وهو ما يعني:

أ) أن علاقته باللّسان الذي يتموقع داخلَه هي علاقةُ إعادةِ توزيع ...

ب) أنه تَرْحالٌ للنصوص وتداخلٌ نصيٌّ، ففي فضاء نص معيّن تتقاطع وتتنافى ملفوظات عديدة مقتطَعة من نصوص أخرى»[2].

وترى "كريستيفا" أن النص الأدبي يُدرس في محورين: في محوره الأفقي (البنية السطحية للنص pheno texte)، وفي محوره العمودي (البنية العميقة) الذي يسمح بكشف بعده التاريخي بما يحمله من قيم ومعتقدات، وذوق ومشاعر...وتُطلق على هذا المحور (تكوينيّة النص Le geno texte)، وهو ما شكّل عندها مفهومَ التناص[3].

وبذلك تكون "كريستيفا" قد قامت بمحاولة لتجاوز البنيويّة، أو بالأحرى مفهوم النص المغلق.

وقد أكد "جاك دريدا" على «أن فكرة النص المنسجم الذي يُشكّل وحدةً تامةً ومغلقة لا وجود له»[4].

---

[1]- مولينيه، الأسلوبية، ص25.

[2]- جوليا كريستيفا، علم النص، تر: فريد الزاهي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1997، ص21.

[3]- ينظر: أحمد منور، علم النص من التأسيس إلى التأصيل، مجلة اللغة والأدب، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، ع: 12، ديسمبر1997، ص27.

[4]- المرجع نفسه، ص29.